

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 2 - سورة الواقعة - تفسير الآيات 41-59

09-02-1996

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: مع الدرس الثاني من سورة الواقعة ومع الآية الواحدة والأربعين وهي قوله تعالى:

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾

فرز الناس يوم القيامة إلى ثلاث زمر:

تحدثنا في الدرس الماضي عن أن الناس جميعاً يوم القيامة يفرزون إلى زمر ثلاث: إلى سابقين، وإلى أصحاب اليمين، وإلى أصحاب الشمال:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾

هؤلاء الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله، وقتهم، وعلمهم، ومالهم، وطاقتهم وإمكاناتهم كلها موظفة في سبيل الخير.

وأما أصحاب الشمال فهم المكذبون الضالون، هؤلاء لهم مصير أسود يوم القيامة، إنما أصحاب اليمين هم المقتصدون الذين طبقوا منهج الله عز وجل واستحقوا الجنة ولكن بمرتبة أقل من السابقين السابقين.

صورة من صور عذاب أصحاب الشمال يوم القيامة:

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾

أي رياح شديدة تصل إلى مسام جلودهم، وهذه الرياح حارة جداً تشوي جلودهم، قوة وحرارة:

﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾

طبعاً الهواء ساخن يلفح الوجوه والماء يغلي الأمعاء والظل هو دخان النار، لونه أسود، وهو ظل ولكنه:

﴿ وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾

حار يلفح الوجوه أيضاً، فصورة مرعبة، رياح سموم تصل إلى مسام الجلد لشدتها، ورياح حارة تلفح الوجوه لحرارتها، والماء يغلي، والظل دخان النار الكثيف الأسود.

الظل يوم القيامة بالنسبة للكافر هو دخان النار الكثيف:

﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾

وهذا الظل لا يضيء على من استغله برداً، ولا سلاماً، ولا سكيناً، ولا يشعر بنشاط وهو تحت الظل، الإنسان إذا شعر بالحر الشديد ضاقت نفسه، فإذا جلس في ظل شجرة ارتاحت نفسه وتنشطت، فهذا الظل:

﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾

أي حتى الظل هو من دخان أسود.

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾

العذاب الشديد لمن انغمس بالملذات وابتعد عن منهج الله:

أيها الإخوة: هذا كلام الله:

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾

(سورة النساء: الآية 87)

هذا كلام الله ووعوده محققة، وكل إنسان شرذ عن الله شرود البعير وانحرف في منهجه، هذا مصيره.

﴿ إِنَّهُمْ ﴾

هؤلاء الذين في سموم وحميم، وظل من يحموم، لا بارد ولا كريم:

﴿ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾

المترف هو الذي ينغمس في الملذات إلى قمة رأسه، ينفق المال بغير حساب، همه شهوته، همهمته، همه بطنه، همه فرجه، همه أن يستمتع بالدنيا إلى أقصى درجة:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾

المترفون في القرآن الكريم قرنوا دائماً مع الكفار.

أشد أنواع الذنوب الشرك بالله:

﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾

الحنث هنا هو الذنب والذنب العظيم هو الشرك، الإنسان أحياناً يكون ضالاً فتلفت نظره يقول لك جزاك الله خيراً، أما الإنسان المعاند الذي يصر على ذنبه وعلى خطأه وعلى شكه، هذا له في الآخرة عذاب أليم:

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾

الحنث العظيم هو الذنب العظيم وأشد أنواع الذنوب هي الشرك بالله:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

(سورة لقمان: الآية 13)

المؤمن يوظف حضوره في طاعة الله:

إذا وصل الإنسان إلى الإصرار هلك، المؤمن لا يصر على شيء، يرضى بقضاء الله وقدره.

((عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر وكان

خييراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له))

(أخرجه مسلم في مسنده عن صهيب)

لو أن الله سبحانه وتعالى منعه شيئاً أو حرمه شيئاً أو زوى عنه شيئاً يرضى، وفي الدعاء الشريف:

((اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحِبُّ فَأَجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ

اللَّهُمَّ وَمَا رَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أَحِبُّ فَأَجْعَلْهُ فِرَاعًا لِي فِيمَا تُحِبُّ))

(الترمذي عن عبد الله بن يزيد الخطمي)

أي أنك بين حالين: إما شيئاً تريده وصلت إليه وإما أن شيئاً زوي عنك، فإن كان الذي وصلت إليه فينبغي أن يوظف في الخير، وفي خدمة الخلق والخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، المؤمن أيها الإخوة (وأذكر هذا كثيراً) الحظوظ التي نالها من الله يوظفها في طاعته، يوظفها في الخير، يوظفها في الحق، وهذا مأخوذ من قوله تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

(سورة القصص: الآية 77)

الكافر يوظف حضوره في مصالحة الشخصية:

المؤمن الصادق يوظف اختصاصه، أو علمه، أو خيرته، أو ماله، أو جاهه، في خدمة الناس، والخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، أما غير المؤمن هذه الحظوظ إما أن يوظفها لمصالحه الشخصية أو للعدوان على الآخرين.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾

والحنث العظيم هو الذنب العظيم الذي هو الشرك، وأذكر هذا كثيراً أن الله سبحانه وتعالى ما ألح في القرآن الكريم على أن الله هو الخالق، ألح على أن الله هو المسير، الأمر كله بيده، إليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه، إنك إن أيقنت أن الأمر كله بيده أخلصت الوجهة إليه، أخلصت العبادة إليه، أقبلت عليه، خدمت عباده تقرباً إليه، والمؤمن الموحد أمره عجيب: لا يرجو ثواباً ولا مديحاً ولا ثناءً، لا قليلاً و لا كثيراً، لا قريباً ولا بعيداً، إنما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً.

المؤمن الصادق من يرضى بقضاء الله وقدره:

النبي عودنا أننا إذا أردنا شيئاً علينا أن نستخير الله عز وجل، نصلي ركعتين وندعو الله في الركعتين: يا رب إن كنت تعلم أن في هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فيسره لي، وإن كنت تعلم أن في هذا الأمر شر في ديني ودنياي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث شئت. فإذا الأمور تيسرت معنى ذلك أن الله يريد ذلك وإذا تعسرت فتعسير الأمور هو اختيار الله لك وتيسرها اختيار الله لك.

لذلك المؤمن لا يصبر، يقول الحمد لله رب العالمين، ذكرت لكم من قبل أن إنساناً يطوف حول الكعبة قال يا رب هل أنت راضٍ عني؟ كان وراءه الإمام الشافعي، قال يا هذا هل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك؟ قال من أنت يرحمك الله؟ قال أنا محمد بن إدريس، قال كيف أرضى عنه وأنا أتمنى رضاه؟ قال إذا كان سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله.

رضا المؤمن بما قسمه الله له سبب كل خير يأتيه:

أي الإنسان لا يصبر على شيء، اختار لك دخلاً محدوداً، هو عليم حكيم، توجد آية قرآنية إذا قرأها الإنسان بتمعن وعمق يقشعر لها جلده:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(سورة البقرة: الآية 216)

الله اختار لك شكلاً معيناً، قواماً معيناً، إمكانات معينة، جعلك من والدين فقيرين، هذا اختيار الله لك، اختار لك ذكوراً فقط، إنثاءً فقط، إنثاءً وذكوراً، جعلك عقيماً، اختار لك دخلاً غير محدود أو دخلاً محدوداً، اختار لك مهنة يدوية أو فكرية، لأن الإنسان لا يعلم ولكن الله يعلم، أنت مكلف فيما أنت مخير به، فأما الذي فرض عليك وسيرت فيه أنت لست فيه مخيراً ولا مكلفاً، لكنه محض خير لك متعلق

بالحكمة المطلقة، هذه فكرة أساسية، لذلك المؤمن دوماً راضٍ عن الله من أعماق أعماقه وهذا الرضا سبب لكل خير يأتيه.

الدنيا مزرعة الآخرة:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾

الترف إخوانا الكرام: الإنسان يسرف أو يبذر، قال العلماء: التبذير في المعاصي و الإسراف في المباحات، فمن أكل فوق ما ينبغي فقد أسرف، من لبس فوق ما ينبغي فقد أسرف، من استمتع بالحياة فوق ما ينبغي فقد أسرف، أما من ارتكب المعاصي وأسرف فيها فقد بذر، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾

(سورة الإسراء: الآية 27)

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَنْدَا مِثْنَا وَكُنَّا ثَرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴾

أي أن هؤلاء أسقطوا من حساباتهم اليوم الآخر، رأوا أن الدنيا هي كل شيء، في الحقيقة أن الدنيا هي سبب للآخرة، مزرعة الآخرة، أما إذا جعلتها كل شيء تقع بإشكال كبير، إذا جعلتها كل شيء يقفز أمامك ألف سؤال وسؤال، في الدنيا قوي وضعيف، فقير وغني، وسيم ودميم، ذكي وغبي، يتيم وغير يتيم، إنسان يولد من أبوين فقيرين يذوق ألوان الفقر، إنسان يولد من أبوين غنيين ينغمس في ألوان النعيم.

عدل الله يتحقق كلياً يوم القيامة:

إذا كانت الدنيا كل شيء والموت نهاية كل شيء هناك ألف سؤال وسؤال يقفز إلى الذاكرة: يا رب لماذا متعت هذا متعة لا حدود لها وهذا حرمة كل شيء ؟ إن لم يكن هناك يوم آخر تسوى فيه الحسابات ويعوض فيه على المقصر ما فاتته، الله عز وجل أسماؤه الحسنی كلها محققة في الدنيا إلا أن اسم العدل، هذا الاسم يتحقق كلياً في الآخرة، هناك مواقف كثيرة جداً تبدو فيها عدالة الله عز وجل، لكن الحساب الدقيق والحساب الرصيد:

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(سورة آل عمران: الآية 185)

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَنْدَا مِثْنَا وَكُنَّا ثَرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴾

الإنسان خلق من لا شيء، خلق من حوين صغير، هذا الحوين صار إنساناً سوياً، أليس الذي خلق هذا الحوين إنساناً سوياً بقادر على أن يعيد خلقه مرة ثانية:

أي كل بني آدم، من آدم إلى يوم القيامة سوف يجمعون إلى حساب دقيق.

على الإنسان أن يفتنم أبواب الخير قبل أنقطع العمل:

أنت الآن في يوم مشهود وقد مضى اليوم المفقود، وسوف تواجه اليوم الموعود، وهناك يوم مورود وهناك يوم ممدود. بين يوم مفقود (الماضي)، ويوم مشهود ويوم موعود ويوم مورود ويوم ممدود، أخطر هذه الأيام هو اليوم المشهود، اليوم المشهود الذي تشهده، لأن اليوم المفقود لا جدوى من الحديث عنه، وأن اليوم الموعود والمورود والممدود متعلق باليوم المشهود.

لذلك الإنسان حينما يسمح له أن يعيش يوماً جديداً ما دام قلبه ينبض، مادام في الروح بقية فأبواب الخير كلها مفتحة أمامه، أبواب العمل الصالح، أبواب الصدقات، أبواب العبادات، أبواب الخير، أبواب معاونة الأيتام، وتفقد الأراذل، خدمة الخلق، إتقان العمل، النصح للناس، هذا كله مفتحة أبوابه في الدنيا، أما إذا جاء الأجل، انقطع العمل. عليه الصلاة والسلام (فيما أذكر) مرّ على قبر فقال إن صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنفلكم خير له من دنياكم كلها.

الدين اتصال بالخالق وإحسان للخلق:

في الدنيا أموال وشركات، دخول كبيرة، بيوت فخمة، مركبات فخمة. دنياكم كلها عند هذا الميت لا قيمة لها ولكن ركعتين نافلتين مما تحقرون من تنفلكم خير له من كل دنياكم، فالإنسان بعد أن يموت تختلف المقاييس والموازن.

الآن المال له قيمة وأما عند الموت لا المال ولا البيوت ولا يوجد لشيء قيمة، القيمة مقدار ما نفعت الناس بالدنيا، طبعاً كما قلت في الدرس السابق هنالك مقاييس كثيرة يقيس الناس بعضهم بعضاً، يقيس الإنسان بحجمه المالي أحياناً، يقيس بمدى ما يتمتع به من قوة، وقد تكون عضلية، يقيس أحياناً بمدى نسيه، يقيس بوسامته، بذكائه، بمن حوله، هذه المقاييس مقاييس البشر، لكن مقياس خالق البشر معرفة الله ومقدار ما نفعت الخلق.

لذلك السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حينما قال الله على لسانه:

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

(سورة مريم: الآية 31)

هذا الدين كله: اتصال بالخالق وإحسان للخلق، هذا هو الدين.

العبرة من سماع الحق تطبيقه:

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (50) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴾

هو ضال فإذا جاءه الهدى كذبه، قلت لكم قبل قليل أن الإنسان قد يضل ولكن يلقي الأذن صاغية إلى الحق، وبالمناسبة تقول الآية الكريمة:

﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾

(سورة التحريم: الآية 4)

وكذلك السماع إن لم ينتج عنه تطبيق سماع غير مقبول، الله عز وجل ذكر في بعض السور أنهم يستمعون إليك وأنهم لا يسمعون، يسمع ولا يسمع، فكأن الله أراد من السماع التطبيق، فمثلاً إنسان يعاني من مرض عضال وقلت له بوضوح ما بعده وضوح: هذا الدواء يشفيك من مرضك وهو دواء ناجح والقائل طبيب فحينما لا يستخدم هذا الدواء معنى ذلك أنه لم يستمع إلى هذا الطبيب، العبرة من السماع التطبيق فإن لم يأخذ هذا الدواء معنى ذلك أنه ما استمع من الطبيب.

الضال والمكذب لا يرتاح لقبول الحق بل لرفضه:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴾

ضال وإذا جاءه الحق كذبه، الآية الدقيقة:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

(سورة القصص: الآية 50)

لا يوجد تكذيب حقيقي، ولكن يوجد تكذيب تبريري، الإنسان حينما يصر أن يكون مع شهوته والحق دائماً يتناقض مع الشهوات، الحق فيه انضباط، الحق كله ضبط للأمر، النزوات والغرائز هذه كلها يضبطها الحق، إذا الإنسان التزم الحق يحاسب عن كل شيء يفعله، على نطقه، على سمعه، على بصره، على كسب ماله، على إنفاق ماله، فلذلك الذي يصر على شهوته لا يرتاح لقبول الحق، يرتاح لرفض الحق. هؤلاء كانوا ضالين والأشد من ذلك أنهم كانوا مكذبين، ضالون ومكذبون.

جوع الكافر الشديد يوم القيامة يحمله على أكل شجر الزقوم:

هؤلاء يوم القيامة من شدة الجوع الذي يعتريهم:

﴿ لِأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴾

هذه غيبيات ذكرها الله لنا، ولا نستطيع أن نضيف عليها شيئاً، يوجد بجهنم شجرة هي شجرة الزقوم، ونحن قد مر معنا من قبل أنه هناك طلع منضود وهناك سدر مخضود نزع شوكة، وطلع هو الموز منضود أي مصفف، هذه الشجرة ينبغي أن تكون على عكس هذا الطعام شائكة، تزعج من يمسكها، فكيف من يبتلعها؟ الحقيقة البلعوم حساس جداً، أحياناً شوكة صبارة قد لا ترى بالعين تحتاج إلى مجهر لو ثبتت في اللسان، يعاني الإنسان منها الشيء الكثير، فالشوك في الحلق لا يحتمل، لذلك هذه الشجرة

شائكة، ومرة المذاق، وكثيرة الشوك، وهي تؤذي من يمسكها فكيف بمن يأكلها لكن الجوع الشديد الذي أكل أمعاءهم يحملهم على أن يأكلوا منها:

﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾

كلام الله حق و على الإنسان أن ينخلع قلبه خوفاً منه:

إخوانا الكرام هذا كلام خالق الكون، كلام الله، كلام خالق السماوات والأرض، فإذا لم يخف الإنسان حينها يكون بحاجة لطبيب نفسي، إدراكه سيء جداً، من لوازم هذه الآيات أن ينخلع القلب خوفاً، فالإنسان قبل أن يكذب، قبل أن يؤذي الناس، قبل أن يعتدي عليهم، قبل أن يأخذ ما ليس له، قبل أن يعتدي على أعراضهم، قبل أن يغشهم في البيع والشراء، قبل أن يحتال عليهم، قبل أن يعصي ربه، قبل أن يدع الصلاة، عليه أن يعد للملايين قبل أن يعصي، لأن هذا مصير العصاة.

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾

شدة عطش الكافر يوم القيامة تدعوه إلى شرب الماء المغلي:

أما إذا عطشوا وما أشد عطشهم في هذا الحر الشديد، ليس إلا ماء يغلي يسلق البطن:

﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾

أحياناً تكون كأس الشاي أحر مما ينبغي، تلدع اللسان، الإنسان يتألم أشد الألم، أحياناً الطعام يكون حار جداً، من القدر إلى الطبق مباشرة، فإذا أكل ملعقة واحدة لأنه غير منتبه على أن الطعام حار جداً، يحترق اللسان، يبقى يومين أو أكثر متألماً، فكيف إذا كان ينبغي أن يأكل من شجر الزقوم وأن يشرب ماء حاراً يغلي.

مرض الاستسقاء من أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان و الحيوان:

﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾

الهيم هي الإبل التي أصابها مرض الاستسقاء هذا مرض خطير، في الإنسان مركز يسمى مركز توازن السوائل، هذا المركز ينظم أخذ السوائل وطرحها، فالإنسان يأخذ 5 لتر شتاء مثلاً وبالصيف 10 لتر على سبيل المثال، أما كلما شرب ماء أكثر كان هذا الشرب صوتاً لكليتيه فالكليتان صونهما بكثرة شرب الماء، وكل كلية فيها عشرة أمثال حاجة الإنسان من التصفية، فالكليتين فيهما عشرين ضعفاً، أي يكتفي الإنسان بعشر كلية واحدة للحياة، وهاتان الكليتان صونهما بشرب الماء الكثيف.

لذلك تشكل البحص في الكلية أحد أسبابها قلة شرب الماء، وفي رمضان ولاسيما المتقدمين في السن ينبغي أن يشربوا ماء كثيراً في السحور، فوق حاجتهم، الإنسان عادة يشرب حاجته أما في رمضان

ينبغي عليه أن يشرب فوق حاجته ليكون زادا له طوال النهار، ومع أن الماء يغلي فشاربون عليه شرب الهيم، والهيم هي الإبل التي أصابها مرض الاستسقاء، ومرض الاستسقاء هو مرض يصيب جهاز توازن السوائل. الغدة النخامية وزنها نصف غرام تفرز عشرة هرمونات، أحد هذه الهرمونات ينظم السوائل فلو اختلت هذه الغدة وقد لا تصدقون ينبغي على الإنسان أن يجلس بين الصنبور والمرحاض لأنه سيشرّب مئات الأمتار من الماء وسيطرحها ثانية، فالإبل التي أصيبت بمرض الاستسقاء تشرب ماء غير معقول.

الجنة ثمن من أطاع الله واتبع أمره:

﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾

وجنتهم من طراز رفيع، وأصحاب اليمين دخلوا الجنة ولهم جنة تساوي مقامهم عند الله عز وجل، لكن جنتهم أقل درجة من جنة السابقون السابقون.

مشهد الإنسان العاصي يوم القيامة:

وأما الضالون المكذبون، العصاة، الشاردون، المنحرفون، الذين يعتدون على الناس، هؤلاء هم أصحاب الشمال وهذا نصيبهم يوم القيامة:

﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ

(45) وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحِنْتِ الْعَظِيمِ (46) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنبَأْنَا

أَلْمُبْعُوثُونَ (47) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (48) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ

مَعْلُومٍ (50) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ (52) فَمَالِنُونَ مِنْهَا

الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شَرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾

مشهد من مشاهد يوم القيامة، مشهد ينخلع القلب له، من الذي يرويه؟ خالق السماوات والأرض.

العاقل من يعيش لمستقبله و يتكيف معه:

الإنسان قبل أن يعصي، قبل أن يؤذي أخاه الإنسان، قبل أن يعتدي عليه، عليه أن يحسب لهذا اليوم حساباً، الحقيقة العاقل هو الذي لا يندم لأنه عاش المستقبل فتكيف معه منذ الآن، والإنسان إذا نسي المستقبل وغفل عنه وعاش لحظته واستمتع بالدنيا من دون استقامة على أمر الله سيأتيه يوم يندم أشد الندم، لذلك ورد أن الإنسان العاصي إذا جاءه الأجل يصيح صيحة لو سمعها أهل الأرض لصعقوا، يقول لم أر خيراً قط، وأن المؤمن إذا رأى مقامه في الجنة من شدة الفرح يقول: لم أر شراً قط مع كل المصائب التي ساقها الله له في الدنيا.

السلامة والسعادة لا تكون إلا بعد معرفة الله:

الآن دعوة إلى الإيمان، الآن في مقدمة مهمة جداً ذكرتها قبل يومين في درس الفجر هي أن كل إنسان على وجه الأرض كائناً من كان، خمسة آلاف مليون إنسان في الأرض، أنا أصر على أنهم جميعاً من دون استثناء لهم مطلبان ثابتان: السلامة والسعادة، مَنْ مِنَ البشر يتمنى مرضاً عضالاً؟ مَنْ مِنَ البشر يتمنى ألماً لا يحتمل؟ مَنْ مِنَ البشر يتمنى فقراً مدقعاً؟ أو مرضاً مفسداً؟ هذا الشيء مرفوض عند كل الناس، مَنْ مِنَّا لا يتمنى أن يكون في بحبوحة وأن يكون صحيح الجسم، بهي الطلعة، وسيم القامة، له أولاد وأهل في أعلى مستوى، هذا شيء طبيعي وهذا شيء فطري، ما من إنسان على وجه الأرض إلا ويتمنى السلامة والسعادة. ولكن السلامة والسعادة لا تكون إلا بعد معرفة الله، ومعرفة منهجه، لأنه الصانع والخالق، آلة صغيرة لا تعبأ بها لا يمكن أن تعمل بانتظام وأن تعطي أعلى مردود إلا إذا طبقت تعليمات الصانع، فأنت أعقد آلة في الكون ولك خالق، وهذا القرآن تعليماته.

معرفة الأمر قبل الأمر تؤدي إلى طاعته:

فلكي تطيحه لابد من أن تعرفه، السبب: لو أن الإنسان عرف الأمر ولم يعرف الأمر تفنن في التفلت من هذا الأمر.

الناس في العالم الإسلامي و بكل الأديان الأخرى الزنا معصية، السرقة معصية، إذاً لماذا يسرقون؟ ويزنون؟ الأمر معروف على مستوى العالم الإسلامي، هل هناك مسلم على وجه الأرض يجهل بأن الزنا معصية؟ وأن الخمر معصية؟ وأن السرقة معصية؟ ومعصية كبيرة، إذاً لماذا يسرقون؟ ولماذا يزنون؟ ولماذا يشربون الخمر؟ الإنسان إذا عرف الأمر ولم يعرف الأمر يتفنن من التفلت من الأمر، لأن قيمة الأمر من قيمة الأمر، كلما ارتفع مستوى الأمر بادر المأمور إلى طاعته، أما إذا عرفت الأمر قبل الأمر تفانيت في طاعته، لذلك السلامة والسعادة لابد لها من طاعة الله عز وجل، وطاعة الله لا تكون إلا بمعرفته، والله سبحانه وتعالى يستحيل عليك أن تدركه بحواسك، لا تدركه الأبصار، يستحيل أن تعرف الله بحواسك الخمس، لا تعرفه إلا بعقلك ومن خلال خلقه.

السلامة والسعادة مطلب ثابت لكل مخلوق:

لذلك الآيات الكونية التي بثها الله في الكون جعلها وسائل لمعرفته، وسائل إيضاح، سماها آيات أي علامات تدل عليه، تدل على وجوده، وعلى كماله، وعلى وحدانيته الآن دققوا أول آية في كتاب الله تتحدث عن خلق السماوات والأرض، عن خلق الإنسان، عن خلق الحيوان، عن خلق النبات، عن الماء والهواء، عن الجبال، عن الصحارى، عن البحار، عن الأسماك، عن الأطيوار، هذه الآيات من أجل أن نفكر فيها ومن أجل أن نعرف الله من خلالها، عن طريق عقولنا، فإذا عرفنا الله بحثنا عن منهجه، فإذا

عرفنا منهجه أطعناه، فإذا أطعناه ضمنا السلامة والسعادة والتي هي مطلب ثابت لكل مخلوق، لذلك يقول الله عز وجل:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾

الله هو الخالق.

معجزة خلق الإنسان:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾

هذا المنى الذي أودعه الله في الإنسان، إذا خرج يخرج منه خمسمئة مليون حوين في كل مرة يخرج تقريباً من ثلاثمئة مليون إلى خمسمئة مليون حوين، والحوين وحده لا يرى إلا بالمجهر، هذا الحوين هو خلية لكن هذه الخلية فيها نوية وفيها هيولا وفيها غشاء وفيها رأس مدبب وفيها عنق وفيها ذيل وتمشي، على النوية مورثات مجموع هذه المورثات خمسة آلاف مليون معلومة مبرمجة موضوعة على نواة هذا الحوين، الآن أكبر علم هو علم الوراثة أي الهندسة الوراثية، هذا الحوين من مثله خمسمئة مليون حوين في اللقاء الزوجي الواحد، إذا خرج هذا الماء من الإنسان يخرج منه خمسمئة مليون حوين، الحوين له رأس مدبب وعلى هذا الرأس غشاء سريع التمزق تحت هذا الغشاء مادة نبيلة تذيب جدار البويضة، بعد هذا الرأس المدبب عنق، وبعد العنق ذيل، والذيل مهمته يتحرك ليمشي هذا الحوين، ليمشي بسرعة عشرة سم بالساعة، لأنه سينتقل إلى الرحم بداخل جسم المرأة، من يدفعه إلى هذا المكان؟ حركته الذاتية.

وهناك صور ميكروسكوبية تنظيرية، شيء لا يصدق جيش يزحف ويتسابق والبويضة تحتاج إلى حوين واحد، تنتقي أقوى هذه الحوينات، أيها الأقوى؟ هو الذي يصل مبكراً، فإذا وقف على جدار البويضة، تمزق غشاؤه الخارجي فظهرت المادة وأذابت جدار البويضة، يدخل هذا الحوين ويغلق الباب، وانتهى! والبقية لم يبق لها محلات.

فإذا دخل هذا الحوين إلى تلك البويضة تسمى البويضة الملقحة، والبويضة الملقحة سوف تتجه عبر القناة التي بين المبيض والرحم، سوف تتجه وتمشي، في أثناء سيرها تنقسم البويضة إلى عشرة آلاف قسم ولكن هذا الانقسام المعجز لا يزيد من حجمها، لو زاد من حجمها وقفت في الطريق فالأنبوب ضيق جداً، لو أنها انقسمت وزاد حجمها وقفت، الانقسام من دون أن يزيد في حجمها، تصل إلى الرحم، تأكل بعض جداره، هذه الخلية إذا أكلته ظهر الدم غزيراً هي بحاجة إلى دم.

عمل البويضة الملقحة:

الآن هذه البويضة الملقحة يبدأ تشكل المخ، الأعضاء، صار الآن في نسيج يشكل الأعصاب، نسيج يشكل العضلات، نسيج للجلد، نسيج للعظم.. كالإنسان فالإنسان مجموعة أنسجة، الجلد نسيج والعضلات نسيج، الشحم نسيج، الأعصاب نسيج، الأوعية نسيج، الدماغ نسيج، الحواس نسيج، كل عضو أو حاسة أو منطقة في الجسم نسيج وحده، له صفات وخصائص فلو كانت القضية نمواً عشوائياً، هذه البويضة الملقحة إن لم يكن لها خالق لتتو نمواً متجانساً، كانت خلية ملقحة فأصبحت قطعة لحم، أو عظم أو جلد، أما هذا التنوع: 140 مليار خلية في الدماغ و14 مليار خلية قشرية في الدماغ والعصب البصري 900 ألف عصب، وفي العين 130 مليون عصبية ومخروط، وفي الرأس 300 ألف شعرة لكل شعرة وريد وشريان وعصب وعضلة وغدة دهنية وغدة صبغية، المعدة 35 مليون عصاره هاضمة والغدة النخامية 0.5 غ تفرز 10 هرمونات، الغدة الدرقية، الكظر، الكليتان في كل كلية طريق طوله 100 كم يقطعه الدم في اليوم خمس مرات، في كل كلية مليون ميكرون مجموع هذه الميكرونات تساوي 100 كم، الدم يدور في الكليتين في اليوم 5 مرات، أي أن دمك يقطع مسافة 500 كم في اليوم وأنت لا تدري، كلية بلا صوت وبلا ضجيج، بلا حجم، لا يعرف الإنسان قيمة الكلية إلا إذا اضطر الإنسان لا سمح الله أن ينقي دمه في كلية صناعية، حجم، وزن طول وعرض وصوت، وأجهزة وتقطيع شرايين ووصل شرايين من أجل أن يصفى الدم في الأسبوع مرتين وإلا يموت الإنسان.

آيات الله الدالة على عظمته:

كليتين ورننتين ومعدة وأمعاء دقيقة وأمعاء غليظة، من الذي يصدق أن الأمعاء الدقيقة تتجدد تلقائياً كل 48 ساعة، إن أسرع خلية على الإطلاق في بناء ذاتها هي خلية الأمعاء الدقيقة، تموت في 48 ساعة أي أقصر عمر خلية في الجسم 48 ساعة وأطول عمر خمس سنوات، أنت كل خمس سنوات إنسان آخر، جلدك، عظامك، عضلاتك، عينك، شعرك، سمعك، بصرك، عدا القلب والدماغ، لو كان الدماغ كل خمس سنوات فالإنسان تنمحي كل معلوماته، أما كل شيء في الجسم يتبدل خلال خمس سنوات، شيء مبرمج، انظر إلى الطفل الصغير، فيه معلومة خشونة الصوت ما إن يصل لسن 14 سنة حتى يخشن صوته، كان صوته كالبنات فلما كبر خشن صوته، هذه معلومة مبرمجة، أي 5000 معلومة مبرمجة مودعة على نوية الحوين المنوي الذي لا يرى بالعين، هذا شيء معجز:

﴿ نَحْنُ خَالِقُنَاكُمْ ﴾

(سورة الواقعة: الآية 57)

صنع الله الذي أتقن كل شيء صنعه:

ماذا فعل الأب؟ الأب وضع هذا الماء وانتهى الأمر، والأم ماذا فعلت؟ لم تفعل شيئاً، من طور هذا الحوين وتلك البويضة؟ وهذا الانقسام؟ وهذا التشكل؟ أيوجد أحد ليس عنده أولاد؟ ابنك أمامك، كان نقطة ماء، رأس ودماع وتلافيف وبصلة سيسائية وعمود فقري، فقرات، غضاريف، أوعية، الشريان لوحده قلب، الشريان مرن فعندما يضغط القلب فيتوسع الشريان لمرونته وعندما يتوسع يعود لما كان عليه فإذا عاد إلى حجمه الطبيعي دفع الدم نحو الأمام فالشريان قلب آخر، القلب ينبض والشرايين تنبض وتضخ الدم بدورها إلى أطراف الجسم، ولحكمة أرادها الله عز وجل جعل الشرايين عميقة، والأوردة سطحية، لو الآية معكوسة وأصاب الإنسان سكيناً جرحته يده ينزف دمه كله في دقائق ويموت، أما الشرايين عميقة وكل شيء تحت الجلد أوردة، دم راجع بطيء.

ذكر لي طبيب قبل يومين قال: هناك في الأنف طبقة شرايين كثيفة جداً، إلا أن الذي يلفت النظر أن أغشيتها بالغة الرقة، وضعيفة جداً، فبمجرد أن يرتفع ضغط الدم هذه الجدر الرقيقة الهشة تتمزق فوراً فيكون الرعاف، ما هو الرعاف؟ الرعاف إشارة إلى أن الضغط قد ارتفع، إشارة وعلاج ذاتي، فإذا عرف الإنسان وتخلّى عن بعض دمه عاد الضغط طبيعياً.

إذا آلة عالية كثيراً يوضع لها فيوز حماية (وصلة سلك ضعيف جداً) فإذا ارتفع التيار عن حده يذوب السلك فوراً، ثمه بسيط ولكن الآلة قيمتها كبيرة جداً، فإذا الإنسان ارتفع ضغطه هياً الله منطقة في الأنف شرايين ذات جدر رقيقة جداً هشة تكاد تكون شفافة على أدنى زيادة في الضغط ينزل الدم، معناه يجب فحص الضغط، نزول الدم بالأنف بعض الأحيان دليل ارتفاع في الضغط.

الفرق الكبير بين من يصنع شيئاً و بين من يستخدمه:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾

هذه الحوينات المنوية تقريبا بدرجة 38 تموت لذلك مكانها في الخصية والخصية خارج الجسم، هناك درجتان بين الجسم والخصية، فلو أن الحوينات مكانها داخل الجسم تموت كلها، وهذه الخصية لها وظيفة كبيرة، الحوين الذي يخرج لتوه مضى على تصنيعه 18 يوم، معمل الحوينات المنوية يمضي عليها 18 يوماً، لذلك قال تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾

أحيانا الإنسان (بلا تشبيه) يستطيع تشغيل جهاز معقد جداً وقيمته بالملايين وذلك بكبسة زر فالذي شغله غير الذي صنعه، التشغيل سهل، ممكن تركيب أحدث مركبة وأنت تجهل كل ما فيها إلا القيادة، ممكن

تستخدم حاسوب من أعلى مستوى وتجهل ما فيه، ممكن تستخدم مكيف معقد جداً وبكبسة زر فقط، فشتان بين من يستخدمه وبين من صنعه.

الموت مصير كل حي:

﴿ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾

طبعاً الموت مصير كل حي.

أيها الإخوة: نحن دخلنا في آيات كونية وكما قدمت لكم قبل قليل لن تطيعه إلا إذا عرفته، ولن تعرفه إلا بعقلك ومن خلال الكون، فالآيات الكونية هي طريق وحيد إلى معرفة الله عز وجل:

﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾